المحاضرة الثانية:

التصوف والطرق الصوفية

إن ظهور الطرق الصوفية سواء في المشرق أو المغرب العربي عملت على ظهور مجموعة زوايا التي كان لها دورا هاما في تاريخ البلاد الإسلامية عامة وتاريخ إفريقيا خاصة، فكان انتشارها تعبيراً عن الحاجات الضرورية للفرد والجماعة لم توفرها المؤسسات الأخرى، والحق أن لطرق الصوفية أهمية بالغة في نشر الإسلام وذلك لأنها تمثل الجانب العملي من التصوف وهو جانب ارتبط بحياة المجتمعات الإسلامية وجماهير الناس عبر العصور التاريخ ارتباطا مباشرا.

امتد التصوف في الجزائر عبر مرحلة تاريخية طويلة، حيث نجد انه تطور بشكل سمح له أن يتخذ طابعا يميزه عن التصوف في المشرق الاسلامي، وعندما نلقي نظرة سريعة حول التصوف خلال الفترة العثمانية نجده يحظى بمكانة كبيرة عند السلطة السياسية وجميع عامة الشعب ولم تنقطع تلك الأهمية حتى في الفترة الاستعمارية اذ نجد ان الإدارة الفرنسية حاولت فهم التصوف عن طريق إنجاز مجموعة من البحوث قصد استغلاله لصالحها.

1-تعريف التصوف:

أ-لغة: اختلف الناس قديما وحديثا في وضع معنى التصوف فقيل: "أن التصوف مصدر الفعل الخماسي المصوغ من صوف للدلالة على لبس الصوف " وقيل: أنها مشتقة من صفاء القلوب لله والتخلي عن شؤون الدنيا. وممن قال بأن سبب هذه التسمية هو لبس الصوف، أحمد بن تيمية حيث يقول:" وهؤلاء نسبوا إلى اللبسة الظاهرة وهي لبس الصوف فقيل في أحدهم صوفي".

ب-اصطلاحا: هو مذهب ديني روحي فلسفي يقوم على الزهد والورع ومحاسبة النفس. ولقد أشار ابن خلدون إلى أن أحق تسمية نطلقها عليه هي الزهد وأصحابه الزهاد العباد. ومع مرور الزمن وبعدما كان التصوف فرديا ويعني الاعتكاف على العبادة وإطراح الدنيا بما فيها من مال وشهوات والإنقطاع إلى الله عز وجل، أصبح جماعيا، خاصة منذ نشأة الطرق.

وعليه فإن التصوف الحقيقي هو الذي تتوفر فيه الشروط الأساسية منها معرفة الكتاب والسنة معرفة دقيقة والعمل بها والجمع بين العلم والعمل والسعي إلى معرفة الله حق المعرفة عن طريق التأمل والنظر

والتفكير في مخلوقاته بالإضافة إلى التقي والورع والتجرد من هوى النفس وحب الدين والإبتعاد عن المغريات الدنيوية.

2-إنتقال التصوف من المشرق إلى المغرب العربي:

ظهر الزهد والتَّقشف وفناء الذات في حافظ بعض المسلمين على سنة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء، ثم سموا "المتصوفين" قبل نهاية القرن الثاني الهجري بقليل وأحسن مثال للتصوف الخالص "رابعة العدوية[1]" التي اشتهرت بالصلاح والتقوى وكذلك أبو حامد الغزالي. وعبد الرحمن الجيلالي في القرنين (5-6هـ/11-12م)، ومحي الدين ابن العربي الأندلسي، ثم انتقل التصوف إلى بلدان المغرب الإسلامي والأندلس، وازدهر في الرباطات والزوايا والمساجد، ومن أهم أقطاب التصوف في بلاد المغرب أبو مدين شعيب بن الحسين، وأبو الحسن الشاذلي. وذكر ابن خلدون في هذا الصدد قائلاً: "فلما فشى الإقبال على الدنيا في القرن الثاني، وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة" وقد وجد التصوف التربة الخصبة لنموه في بلاد المغرب، وسط جو مشحون بالصراعات المذهبية، ومن هذا ظهر أولا كرد فعل على التطرف بالعودة إلى الدين، وثانيا كتعبير عن موقف سياسي معاد لتوجه السلطة الحاكمة التي كانت تضطهد الفقهاء ومما ساعد الزهاد على نشر آرائهم في المغرب الإسلامي انتشار الربطات والحصون التي كانت تهدف إلى حفظ الأمن، حيث كان المسلمون يعتبروها واجبا دينيا مقدساً، ومن هنا تفرغ المرابط إلى العبادة. وهكذا فإن التصوف الإسلامي يأمر بالعمل والجهاد معا، والتمتع بالحياة دون إسراف حيث يقول الأمير عبد القادر في موقفه مُستنداً إلى قوله تعالى:" إِنَّمَا المؤمنُون الَّذينَ آمنُوا باللهِ ورسولِهِ ثمّ لم يرتَابُوا وجَاهَدُوا بأموالِهِمْ وأنفُسِهِمْ فِي سَبيلِ اللهِ أولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ"[2]؛ ففي الآية حث على المجاهدة وإنفاق المال والنفس.

---

[1] **رابعة العدوية:** هي رابعة بنت اسماعيل العدوية، ولدت سنة 114هـ اشتهرت بالصلاح والتقوى وكانت النساء يلجأن إليها يسمعن وعظها وكانت تقول مناجاتها (إلهي تحرق قلبي بحبك) ومن وصاياها (اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيأتيكم)، كانت رابعة تصلي الليل كله، ولما ماتت كفنت في حبها، كانت تلبسه، وكانت وفتها عام 135هـ، وقبرها يزار بظاهر القدس من شرقيه.

[2] سورة الحجرات: الآية 15.

محاضرات مقياس تاريخ الجزائر الثقافي 2

3-عوامل انتشار التصوف في الجزائر:

يميل أغلب المؤرخين إلى أن التصوف في صورته الأولى الزهدية؛ قد يكون موجودا منذ الفتوحات الإسلامية، أما بالمفهوم الدقيق للتصوف والذي اصطلح عليه فيما بعد؛ فقد ظهر أولا بالمشرق ثم انتقل مع المعابر الأربعة التي انتقلت بواسطتها الأفكار إلى بلاد المغرب العربي، وهي: الحج، طلب العلم، الكتب والمؤلفات، التجارة.

أما بالنسبة للجزائر تحديدا، فقد انتشر بها التصوف على مدى واسع، وعبر مناطق عديدة من الوطن، ففي كل بقعة منه تجد زاوية، أو مقام ولي صالح. والجدير بالذكر أن التصوف قد بدأ في المغرب الإسلامي تصوفاً نظريا، ثم تحوّل واتجه ابتداء من القرن 15م إلى الناحية العملية، وأصطلح عليه "تصوف الزوايا والطرق الصوفية"، وقد ظل هذا التصوف العملي سائدا في جميع أنحاء المغرب العربي حتى بعد دخول الأتراك العثمانيين.

وقد شهدت ظاهرة التصوف نشاطاً متزايداً في الجزائر منذ ارتباطها بالدولة العثمانية سنة 1519م، فقد قامت السلطة العثمانية المتعاقبة على الحكم في الجزائر بدعم المتصوفة خلال المراحل الأولى من الحكم العثماني، ومنذ حكم الدايات سنة 1671م عرف التصوف في الجزائر حركة متزايدة ونشاطاً في المدن والأرياف. ومن مميزات هذه المرحلة التاريخية للجزائر أن مؤسسة التصوف ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بمؤسسة السلطة العثمانية، كما أن هذه الأخيرة غذتها واحاطتها بالعناية الكبيرة.

أما إذا رجعنا الى البدايات الأولى لحركة التصوف في الجزائر، فمعظم الدراسات التاريخية التي حاولت الوقوف على الظهور الأول للصوفية في بلاد المغرب الأوسط

الاسلامي، تحدده ما بين القرنين 6-7هـ/ 12-13م، ونتيجة التواصل العلمي بين بلاد المغرب والمشرق من خلال الرحلات العلمية لعلماء بلاد المغرب الاسلامي نحو مراكز الاشعاع العلمي في بلاد مصر والحجاز والشام والعراق، استطاعت حركة التصوف الأولى الولوج والانتشار في منطقة المغرب والاندلس.

وقد عرف التصوف في بلاد المغرب الاوسط بدايته الأولى خلال المرحلة الأخيرة من الدولة الحمادية؛ التي شهدت فيها الدولة حركة من التواصل الثقافي الحثيث بين المغرب الأوسط والحواضر الاسلامية، ومن أهل التصوف في هذه الفترة يتقدمهم العلامة أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري وهو من الشخصيات المتصوفة التي ساهمت في نشر مظاهر التصوف في المنطقة.

وقد كان من أوائل من نشروا التصوف بالجزائر؛ الشيخ عبد السلام التونسي، أبو مدين الغوث، عبد الرحمن الثعالبي، أحمد بن عبد الله الزواوي، إبراهيم التازي، الإمام السنوسي، أحمد زروق، أحمد بن يوسف الملياني وغيرهم.

وقد ساهمت مجموعة من العوامل، أدت الى انتشار ظاهرة التصوف في مدن وريف الجزائر خلال العهد العثماني، يمكن أن نلخصها بالشكل التالي:

-وجود أعلام صوفية عملوا على نشر التصوف بكامل المغرب الإسلامي وأثروا في الناس بسلوكياتهم وبعلمهم وحتى مؤلفاتهم من أمثال: أبو مدين، الإشبيلي، المغراوي...الخ.

-تأثر كثير من العلماء بالتصوف المشرقي، حيث ظل العديد من متصوفة المغرب الإسلامي على اتصال دائم ووثيق بمتصوفة المشرق الإسلامي كأبو مدين الغوث، عبد القادر الجيلاني، ويذكر الغبريني الكثير من متصوفة المغرب الذين انتقلوا إلى المشرق وأخذوا منه مختلف العلوم ومنها التصوف.

-سقوط الدولة الموحدية مما أدى إلى المزيد من الضعف والإنحلال، ولم يجد الناس عزاء إلا عند الصوفية، في حماية أنفسهم وأموالهم، لما تتمتع به هذه الفئة من احترام وتقدير لدى مختلف طبقات المجتمع، وهكذا قامت الصوفية مقام الدولة.

-سقوط الأندلس وتعرض معظم سواحل المغرب الإسلامي للغزو الإسباني، والدور الذي لعبته الصوفية في مواجهة هذا الغزو ومقاومته بإنشاء الرباطات والزوايا وحث الناس على الجهاد. وحتى بعد قدوم الأتراك استمر الصوفية في أداء دورهم الجهادي ومساعدة العثمانيين في محاربة الغزو الإسباني، وقد ذهب المشرفي والزياني إلى أن تحرير وهران من الإسبان كان بجموع الطلبة والصوفيين المرابطين حول المدينة.

- هجرة كثير من صوفية الأندلس إلى الأراضي الجزائرية، واستقروا في بجاية، تلمسان، فكان لهم تأثير قوي في دفع التيار الصوفي إلى الأمام وتكوين الجماعات الصوفية الأولى بالمنطقة.

-انتشار البذخ والترف عند طبقات معينة، نتيجة الثراء الفاحش، وتراجع القيم الدينية والأخلاقية داخل المجتمع، فقامت الصوفية بمحاربة هذه الانحرافات مما أدى إلى انتشار مذهبهم.

إن المتتبع للطرق الصوفية وشيوخها يلاحظ بلا شك دورها البارز في التأثير على حياة المجتمع الجزائري، جراء مرتكزاتها وما قدمته من وظائف، بحيث أنّ أهم صفة ارتكزت عليها الشخصيات المتصوفة الصلاح والتقوى، إلى جانب هذا فبعض المتصوفة ينسبون أنفسهم إلى آل البيت ما جعلهم محل احترام وتوقير من قبل الأهالي.

وكان المبرر الديني دافعا لظهور العثمانيين في الجزائر بسبب الحروب الصليبية بقيادة اسبانيا ضد الجزائر، وكان حلفاؤهم المرابطين، إذ أن أمام الضعف السياسي للدولتين الزيانية والحفصية لم يبق أمام المرابطين إلا الاعتماد على أنفسهم في الدفاع عن أراضيهم وتجلى ذلك في موقف عبد الرحمان الثعالبي لما دعا أهل مدينة الجزائر للجهاد، ولما راسل أهل بجاية يحثهم على الاستعداد للحرب، وكذلك الشيخ التواتي كان يحمي مدينة بجاية من الإسبان وأنّ زاويته كانت ملجأ للمجاهدين، ولما توفي الشيخ سقطت المدينة وفرَّ منها الأمير الحفصي.

والجدير بالذكر، فإن المتصوفة اختاروا المناطق الريفية أين تنتشر الأراضي الزراعية بإنتاجها من المزروعات التي تحتاجها زوايا المتصوفة، وكانت ساكنة الريف توقف جزء من انتاجها لصالح تلك الزوايا من أجل استمرار الزاوية.

لقد كانت زوايا الصوفية والأضرحة تمتلك الكثير من أملاكاً موقوفة ليس فقط داخل المدن بل في الأرياف حيث تنتشر الأراضي الزراعية والعيون، كما كانت مؤسسو الزاوية الصوفية تعتمد على صدقات من الناس يومياً، وكانت مؤسسة الصوفية تعتمد على الوقف من أجل تسديد نفقات طلابها من حيث المأكل والمبيت زيادة على نفقات التعليم.

4-مؤسسات التصوف:

1-الزاوية:

استعملتها الصوفية كوسيلة من الوسائل الهامة لنشر مذهبهم، بل إن إنشاء الزوايا نقل التصوف من مرحلة التصوف النظري إلى التصوف العملي، الذي عرفته بلاد المغرب الإسلامي منذ القرن 8هـ/14م.

والزاوية عبارة عن مجموعة من الأبنية ذات طابع ديني تضم: غرفة للصلاة، ضريح لأحد المرابطين أو ولي من الأشراف تعلوه قبة، غرفة لتلاوة القرآن، مدرسة لتحفيظ القرآن، وغرفة مخصصة لضيوف الزاوية والحجاج والمسافرين، وغرفة للطلبة، ويلحق بالزاوية عادة مقبرة تشمل قبور أولئك الذين أوصوا في حياتهم بأن يدفنوا بها.

2- الطريقة:

الطريقة لغة هي السيرة، وطريقة الرجل مذهبه، يقال مازال فلان على طريقة واحدة أي حالة واحدة، وفلان حسن الطريقة والطريقة الحال يقال على طريقة حسنة أو طريقة سيئة.

أما في الاصطلاح فهي حركة دينية إنتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري تدعوا للزهد وشدة العبادة تعبيراً عن فعل مضاد للإنغماس في طرف، ثم تطور حتى صار طرقاً مميزةً، تبنت مجموعة من العقائد المختلفة.

والطريقة في النظم الاجتماعية هي تجسيد المنهج في المجال الديني على شكل تنظيم هرمي لأتباع ذلك المنهج تحت توجيه وإشراف رائد ملهم، يدين له أتباعه بالتعظيم والتبعية الفكرية والروحية، ومن أشهرها الطرق الصوفية التي تعد بمثابة مدارس فكرية تجمع بين أتباعها أوراد ومنهج وأساليب تعبدية يصعد على طريقها المريد على سلم المقامات والأحوال.

وقد اختلفت الطرق كما اختلفت المذاهب فيما بعد وكان اختلافها في الفروع وليس الأصول؛ فالتعدد والاختلاف بين الطرق لا يمس الهدف، وإنما يقتصر على اختلاف الأساليب والمناهج والوسائل التي يتم بها الوصول إلى تحقيق الهذف؛ فلكل منها أوراد وأذكار وأوقات للصلاة، أي الاختلاف في أسلوب الممارسة وليس في مبادئ الصوفية.

5-العلاقة بين المتصوفة والسلطة العثمانية:

يبدو أن العلاقة بين السكان المحليّين والسلطة العثمانية ارتكزت على مشايخ الطرق الصوفية، وقد اختلفت العلاقة بين هاته الطرق والسلطات العثمانية، فمنهم من أيّد الوجود العثماني في الجزائر وعبروا عن ذلك بتحالفهم مع العثمانيين ضد الإسبان في حركة جهادية كانت الرباطات والزوايا متصدرة لها، ومثال ذلك ما أكده الريس بيري حول الشيخ محمد التواتي الذي جعل زاويته في بجاية لاستقبال المجاهدين ضدّ الإسبان، لكن يبدو أن الفترة الأولى من الوجود العثماني في الجزائري شهدت في الغالب علاقة جيّدة بين الصوفية والسلطة العثمانية.

استغل العثمانيون زعماء الطرق الصوفية للسيطرة على الثورات أو على الأقل تحذير السكان من الإنخراط في هاته الثورات، ففي رسالة من الباشا يوسف سنة 1642م إلى الشيخ محمد الساسي البوني، طلب منه أن يحث سكان مدينة عنابة بمغبة الإنخراط في التمرد الذي قام به ابن الصخري بالشرق الجزائري، وردا منه على الرسالة أكد محمد الساسي أنه سيعمل ما في وسعه لإخماد الثورة، ويطلب منه أن يسامح أهالي المدينة الذين شاركوا إلى جانب ابن الصخري، فردّ الباشا بأنه قد سامحهم تقديرا للشيخ. ولم يقتصر الأمر على ذلك فقد قرّب العثمانيون بعض العائلات العلمية من كعائلة الفكون، واستغلوها في بعض

القضايا السياسية؛ كما وقع مع عبد الكريم الفكون الذي ساعد السلطة الجزائرية في التوغل بالجنوب الشرقي وإلزام السكان بالطاعة والولاء.

وبالتالي يمكن القول أن هذه المرحلة عرفت بمرحلة التحالف الديني والسياسي لمواجهة التهديد المسيحي وتحرير البلد من خلال التوعية بالتعليم خاصة العلوم النقلية بالمدينة والريف على حد سواء، وكذا الاهتمام بالمجتمع من خلال إيواء المحرومين والفقراء، وكذلك دور المرابطين في إثارة الحماس ضد الغزاة.

والجدير بالذكر أن دور الطرق الصوفية تعداه لمجالات أخرى، ويبدو أن ذلك يرتبط بتثبيت مركزها الاجتماعي حتى تظهر كقوة ضاغطة على السلطة، ومن هذه المجالات، المجال الاقتصادي حيث "كانت بعض الموانئ تسير من قبل شيوخ الصوفية وأصحاب البحر، فالسفن تبنيها جماعات التجار والملاحين، وكلهم أتباع الطرق الصوفية، ولكل ميناء مشيخة بحره. وتقسم مغالً البحر بنٌ المشيخة والمجاهدين، والتفاوض لفك الأسرى يكون مع مشيخة الرواق والفدية تدخل لصالح الجماعة، وأحيانا ترفض المشيخة فك أسر بعض الأسرى المعروفين بعدائهم للمسلمين.

إن هذا النشاط الذي كانت تقوم به هذه الزوايا يدل دلالة قطعية على الأهداف التي كانت تتوخاها وذلك لتحقيق مكاسب مالية تعود إليها في وقت الحاجة تعضيدا لموقعها الديني وكذا الاجتماعي، ويبدو أن هذا المسعى لم تكن تتبناه كل الطرق، ولكن القلة القليلة أرادت أن يكون لها موطئ قدم لتحقيق مآربها.

إن التحالف الذي جمع الطرق الصوفية والسلطة العثمانية حقق بعض أهدافه لكل طرف، فمساندة العلماء للسلطة جعلها تستمر في أجواء استقرار بالمقابل وجد العلماء الصوفية ضالتهم في تحقيق مبتغاهم، لكن يبدو أن ذلك كان إلى حين، إذ ما انفكت أن تفككت عرى التواصل بنٌ الطرفين؛ وكان الكثير من قادة الصوفية مرة يؤيدون وفي أخرى يعارضون، فابن القاضي كان أحد المساعدين للأتراك في بسط نفوذهم بالجزائر وطرد الإسبان من السواحل الجزائر؛ لكنه سرعان ما عاد واستولى على الجزائر العاصمة من يد خير الدين بربروسة بين 1520-1525م. وبالتالي لم يكن التحالف بغرض خدمة الوطن والدين حسب اعتقادنا، ولكن المصلحة في كثير من الأحيان كانت سيدة الموقف.

وفي المقابل شهدت الفترة الأخيرة من الحكم العثماني ثورات مختلفة في ربوع الجزائر نتيجة لتفشي الظلم وتراجع الموارد المادية للدولة التي أرهقت السكان بالضرائب، كما وقع مع سكان جبال فليسة بمنطقة القبائل الذين أعلنوا الخروج عن الطاعة ومنعوا الزكاة وحرموا البناة من الإرث، وكما ساءت العلاقة بين

التيجانيين والباي محمد الكبير ومحمد الصغير أين وقعت عدة اشتباكات بين الطرفين في عين ماضي وهاجم محمد الكبير التيجاني مدينة معسكر التي كاد أن يدخلها لولا أنه قتل في إحدى المعارك.

وهكذا بدأت مرحلة التوتر والمجافاة واندلاع الثورات، وفيها ظهر الجفاء بين الطرفين خاصة بعد تراجع الخطر الخارجي رغم سعي العثمانيين بكل الطرق لإغداق المال والإعفاء من الضرائب، لكن ذلك لم يمنع ذلك من ظهور إرهاصات الخروج عن العثمانيين وبالتالي بداية الثورات، بل إن الأمر تعداه لظهور انحرافات خطيرة في مسار شيوخ الزوايا تحقيقا –كما يبدو– للرغبات والنزوات.

قيام ثورة درقاوة، الذين أشعلوا ثورة خطيرة في منطقي قسنطينة ووهران غطت مساحتها المناطق الغربية من الشلف حتى الحدود المغربية، بالإضافة إلى أغلب الجهات الشرقية من الإيالة، وتعد ثورة الدرقاويين من أخطر الثورات التي عجلت بسقوط الجزائر العثمانية كما وضعت قدراتها الحربية في مواجهة الغزو الفرنسي سنة 1830)، وقد تزعم هذه الثورة مقدم الدرقاوية محمد بن عبد القادر الشريف؛ وسببها ما يفرضه البايات من مغارم وضرائب. كما كانت هناك ثورة أخرى هي ثورة ابن الأحرش فقد كانت قوية وكادت أن تقلب الأوضاع في الشرق الجزائري ضد العثمانيين.

6–أبرز الطرق الصوفية المنتشرة في الجزائر في العهد العثماني:

ومما ذكرناه من قبل، فقد عرفت الجـ ا زئر حركة صوفية قبل مجيء العثمانيين وحلولهم بالمغرب الاسلامي، لكن هذه الحركة عرفت نشاطاً كبيرًا وازدهارًا لافت للعيان في الجزائر خلال تواجد الحكم العثماني. فقد شهدت ساحة التصوف بروز عدد من الزهاد والمتصوفة على نطاق واسع في مدن الجزائر وريفها، وعند حلول 19م بلغ عددها ما يقارب 17 طريقة صوفية، تختلف من حيث أصولها وموطن نشأتها. وكانت هذه الطرق الصوفية مغربية ومشرقية الأصل وبعضها ذات منشأ جزائري، نذكر منها:

1–الطرق الصوفية الوافدة:

أ–الطريقة القادرية (1125 هـ– 1713م):

تعد أول طريقة صوفية ظهرت في الإسلام منسوبة إلى الشيخ محي الدين أبي محمد عبد القادر الجيلالي، إذ تقوم على مبادئ أهمها العلم والأخلاق والصبر والإتقان، ولقد وصفت الطريقة القادرية بالتساهل والتسامح تجاه الأديان وتعد هذه الأخيرة الطريقة الأم في الجزائر بتقدمها زمنيا وكثرة دعاتها، وقد تفرعت عن هذه الطريقة القادرية طريقتين العيساوي في العمارية.

ولعلّها أقدم الطرق وجودا في الجزائر، أين يرجعها الباحثون إلى الشيخ أبي مدين، الذي التقى في رحلته إلى المشرق الشيخ عبد القادر الجيلالي، وازدهرت الطريقة خلال القرن الخامس عشر في الجزائر خاصة بعد استقرار إبراهيم بن عبد القادر الجيلالي في الشرق الجزائري وتأسيسه لزاوية تخص الطريقة القادرية.

ب–الطريقة الشاذلية (656 هـ – 1258 م):

منسوبة إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي، إذ يذكر أبو القاسم سعد الله مبادئ هذه الطريقة تقوم على الرحلة الفكرية والتأمل المستمر وعلى الهيمان في الأرض الله بحثا عن التظهير والتسامح وعلى إهمال الذات والقيام بالصلوات والواجبات الشرعية وكان لتعليم أبو الحسن الشاذلي الأثر الكبير في الجزائر، وحسب ما ذكره سعد الله فإن معظم الطرق الصوفية التي ظهرت بعد القرن 14 م تتصل بوجه أو بآخر بتعاليم الطريقة الشاذلية، وقد أحصى بعضهم عدد الطرق الصوفية في المغرب 16 طريقة، كلها شاذلية الأصل أما وردها يعتمد في الأساس على الصلاة المشيشة وهو 100 مرة اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله و100 مرة لا إله إلا الله وهذا من الصبح حتى غروب الشمس كل يوم. من أهم فروعها الطريقة الدرقاوية والطريقة الشيخية السنوسية والزيانية.

ج–الطريقة الرحمانية (1208هـ– 1793م): تأسست خلال القرن 18م نسبة إلى محمد عبد الرحمان القشتولي الأزهري الجرجري (بوقبرين)، وخلفه علي بن عيسى المغزي، ثم تولت لالة خديجة أم لالة فاطمة وزوجة علي بن عيسى المغزي قيادتها. تأسست في قرية بوعلاوة بجبال جرجرة وينسبها باحثون آخرون إلى سيدي أمحمد المولود عام 1774م في منطقة بوغني في منطقة القبائل، أين قرر صاحبها الإنتقال إلى العاصمة أين أسس زاوية أخرى.

تستمد تعاليمها من الطريقة الشاذلية، ومن مبادئها ما ظهر في اجازة الشيخ عبد الرحمان الأزهري لخليفة علي بن عيسى وبين له ورد وهو لا إله إلا الله هو الحق الحي القيوم القهار وذلك في كل وقت ولا سيما عند عصر الخميس والجمعة.

لم تكن إدارة الزاوية في يد امرأة واحدة بل تكررت بعد وفاة الشيخ محمد بلقاسم شيخ زاوية الهامل ببوسعادة (1314 هـ–1897 م) حيث قادتها ابنته الوحيدة السيدة زينب بإدارتها بشكل جيد إلى أن وافتها المنية عام (1321هـ–1904م). بلغ عدد الزوايا 177 زاوية، 676 طالبا، و22 شيخ، و873 مقدم، و849 شاوش، وقد امتازت بالشعبية والانتشار بين الشباب.

لم يستقر مركز الزاوية في منطقة القبائل بل انتقل إلى قسنطينة ثم إلى بسكرة خلال العهد الإستعماري، لتبدأ في التوسع بالخارج فوصلت إلى مصر وفلسطين وموريتانيا وشنقيط ونواكشط، كما تتواجد في عديد الدول الإفريقية كتومبكتو والنيجر والتشاد والسنيغال وساحل العاج وغينيا وغيرها.

2-الطرق الصوفية المحلية:

أ-الطريقة السنوسية :(1250هـ - 1835م):

تعد من أشهر الطرق الصوفية والتي تنافست مع التيجانية في نشر الإسلام ومقاومة الحملات الصليبية في إفريقيا، تعود تسميتها إلى "عائلة آل السنوس " مؤسسها هو السيد محمد بن علي السنوسي الخطابي الادريسي، بدأ تجربته الصوفية ضمن الطريقة القادرية ثم لم يلبث أن اتبع التيجانية أثناء إقامته بمدنية فاس، ثم سافر إلى مكة للحج وأخذ يتعمق في الطرق الصوفية فأخذ الشاذلية والناصرية والقادرية.

أسس زاويته على جبل أبي قبيس بمكة، وأخذ بنشر دعوته هناك ثم ارتحل إلى برقة (ليبيا). وانتشرت دعوته بسرعة حيث بلغ عدد زواياه في نواحي برقة في حياته 18 زاوية، إلى أن وافته المنية سنة (1275هـ-1859م)، خلفه بعد ذلك ابنه محمد المهدي، فاستولى على جزء هام من الصحراء الشرقية لصالح الطريقة ثم تولى أمور السنوسية عند وفاته محمد الشريف وهو ابن أخيه (1890- 1933م). توجد السنوسية اليوم بكثافة متفاوتة في كل من تشاد والنيجر والسودان.

-الطريقة التيجانية: تنسب إلى أبي العباس أحمد بن محمد التيجاني، تأسست عام 1737م في قبيلة التواجنة بعين ماضي جنوب الجزائر، زار صاحبها فاس وحضر مجالس علمائها كما تلقى العلم في الحجاز وأقام لفترة بتونس، وكان الهدف من تأسيس الزاوية الإنعزال عن العالم الخارجي ومغرياته والزهد في الدنيا، أحصت السلطات الفرنسية نهاية القرن التاسع عشر 32 زاوية و25 ألف مريد.

- الطريقة الدرقاوية: منشأها المغرب، وفي أعقاب العهد العثماني انتشرت الطريقة الدرقاوية في الجزائر في كل من وهران، تلمسان، مستغانم وتيارت، وتنسب إلى الشيخ محمد العربي الدرقاوي، وانجذب عددا من علماء الجزائر نحو هذه الطريقة، وبلغ عدد مريديها خلال العهد العثماني حوالي 1220 عالم، وكانت لها عدة فروع لعلّ أهمها في الجزائر: كالمهاجية أو القدورية التي أسسها بوعزة المهاجي في مستغانم، وكذا العلوية التي أسست بتحزيث بالقرب من مستغانم.

قائمة المصادر والمراجع:

محاضرات مقياس تاريخ الجزائر الثقافي 2

-بن لباد غالي، الزوايا في الغرب الجزائري التيجانية والعلوية والقادرية، أطروحة دكتوراه في الانثروبولوجيا، جامعة أبو بكر بلقايد-تلمسان، 2009.

-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج04، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

-إبراهيم الدروبي، مختصر في تاريخ شيخ الإسلام عبد القادر، باكستان، 1959.

- بكاي رشيد، سلطة الخطاب الصوفي في الجزائر، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة وهران، 2012.